محمود درويش

لا تعتذر عمّا فعلت



لا تعتذر عما فعلت

محمود درويش

لا تعتذر عما فعلت

القصائد

توارد خواطر، أو توارد مصائر:

لا أَنتِ أَنتِ
ولا الديارُ ديارُ

[أبو تمام]

والآن، لا أنا أنا
ولا البيتُ بيتي

[لوركا]

I

في شهوة الإيقاع

1

يختارني الإيقاع

يَخْتَارُني الإيقاعُ، يَشْرَقُ بي
أنا رَجْعُ الكمان، ولستُ عازِفَهُ
أنا في حضرة الذكرى
صدى الأشياء تنطقُ بي
فأنطقُ ...
كُلَّما أصغيتُ للحجرِ استمعتُ إلى
هديلِ يَمَامَةٍ بيضاءَ
تشهَق بي:
أَخي! أنا أُخْتُكَ الصُّغْرى،
فأذرف باسمها دَمْعَ الكلامِ
وكُلَّما أَبْصَرْتُ جذْعَ الزَّنْزَلَخْتِ
على الطريق إلى الغمامِ،

سمعتُ قلبَ الأُمِّ
يخفقُ بي:
أَنا امرأة مُطلَّقَةٌ،
فألعن باسمها زِيرَ الظلامِ
وكُلَّما شاهَدْتُ مرآةً على قمرٍ
رأيتُ الحبَّ شيطاناً
يُحَمْلِقُ بي:
أنا ما زِلْتُ موجوداً
ولكن لن تعود كما تركتُكَ
لن تعود، ولن أَعودَ
فيكملُ الإيقاعُ دَوْرَتَهُ
ويَشْرَقُ بي ...

2

لي حكمة المحكوم بالإعدام

لِيَ حِكْمَةُ المحكوم بالإعدامِ:
لا أشياءَ أملكُها لتملكني،
كتبتُ وصيَّتي بدمي:
«ثِقُوا بالماء يا سُكَّانَ أُغنيتي!»
وَنِمْتُ مُضَرَّجاً ومُتَوَّجاً بغدي ...
حَلِمْتُ بأنَّ قلب الأرض أكبرُ
من خريطتها،
وأَوضحُ من مراياها وَمِشْنَقَتي.
وَهِمْتُ بغيمةٍ بيضاءَ تأخذني
إلى أعلى
كأنني هُدْهُدٌ، والريحُ أَجنحتي.
وعند الفجر، أَيقظني

نداءُ الحارس الليليّ
من حُلْمي ومن لغتي:
ستحيا مِيتَةً أخرى،
فَعَدِّلْ في وصيَّتكَ الأخيرةِ،
قد تأجَّل موعدُ الإعدام ثانيةً
سألت: إلى متى؟
قال: انتظر لتموت أكثَرَ
قُلْتُ: لا أشياء أملكها لتملكني
كتبتُ وصيَّتي بدمي:
«ثِقُوا بالماء
يا سُكّان أغنيتي!»

3

سيجيء يوم آخر

سيجيءُ يَوْمٌ آخَرٌ، يومٌ نسائيٌّ
شفيفُ الاستعارةِ، كاملُ التكوين،
ماسيٌّ زَفَافيٌّ الزيارةِ، مُشْمِسٌ،
سَلِسٌ، خَفيفُ الظلِّ. لا أحدٌ يُحِسُّ
برغبةٍ في الانتحار أَو الرحيل. فكُلّ
شيء، خارج الماضي، طبيعيٌّ حقيقيٌّ،
رديفُ صفاته الأولى. كأنَّ الوقتَ
يرقد في إجازته... «أطيلي وقت زينتك
الجميلَ. تشمَّسي في شمس نَهْدَيْكِ الحَرِيرِيَّيْن،
وانتظري البشارةَ ريثما تأتي. وفي ما
بعد نكبرُ. عندنا وقتٌ إضافيٌّ
لنكبر بعد هذا اليوم...»/

سوف يجيء يومٌ آخرٌ، يومٌ نسائيٌ
غنائيُ الإشارة، لازورديُّ التحيةِ
والعبارة. كُلُّ شيء أُنثويٌّ خارج
الماضي. يَسيلُ الماءُ من ضرع الحجارةِ.
لا غُبَارَ، ولا جَفَافَ، ولا خسارةَ.
والحمامُ ينامُ بعد الظهر في دبّابة
مهجورةٍ إن لم يجد عُشّاً صغيراً
في سرير العاشِقَيْن ...

4

وأنا، وإن كنت الأخير

وأنا، وإن كُنْتُ الأَخيرَ،
وَجَدْتُ ما يكفي من الكلماتِ ...
كُلُّ قصيدةٍ رَسْمٌ
سأرسم للسنونو الآن خارطةَ الربيعِ
وللمُشَاة على الرصيف الزيزفونَ
وللنساءِ اللازوردُ ...
وأنا، سيحمِلُني الطريقُ
وسوف أَحملُهُ على كتفي
إلى أَنْ يستعيدَ الشيءُ صورتَهُ،
كما هِيَ،
واسمَهُ الأَصليَّ في ما بعد/

كُلُّ قصيدة أُمٌّ
تفتِّشُ للسحابة عن أَخيها
قرب بئر الماءِ:
«يا وَلَدي! سأُعطيك البديلَ
فإنني حُبْلى ...»/
وكُلُّ قصيدة حُلْمٌ:
«حَلِمْتُ بأَنَّ لي حلماً»
سيحملني وأَحملُهُ
إلى أن أكتب السَّطْرَ الأخيرَ
على رخام القبرِ:
«نِمْتُ ... لكي أَطير»

... وسوف أَحمل للمسيح حذاءَهُ الشتويَّ
كي يمشي، كَكُلِّ الناس،
من أَعلى الجبال ... إلى البحيرةْ

5

في بيت أمّي

في بيت أُمّي صُورَتي ترنو إليّ
ولا تكفُّ عن السؤالِ:
أأنت، يا ضَيْفي، أنا؟
هل كنتَ في العشرينَ من عُمْري،
بلا نظّارةٍ طبيّةٍ،
وبلا حقائبَ؟
كان ثُقْبٌ في جدار السور يكفي
كي تعلّمك النجومُ هوايةَ التحديقِ
في الأبديّ ...
[ما الأبديُّ؟ قُلْتُ مخاطباً نفسي]
ويا ضيفي ... أأنتَ أنا كما كنا؟
فَمَنْ منّا تنصَّلَ من ملامحِهِ؟

أَتذكُرُ حافرَ الفَرَسِ الحرونِ على جبينكَ
أَم مَسَحْتَ الجُرْحَ بالمكياج كي تبدو
وسيمَ الشكل في الكاميرا؟
آأنتَ أنا؟ أتذكُرُ قلبَكَ المثقوبَ
بالناي القديم وريشة العنقاءِ؟
أَم غيَّرتَ قَلْبَكَ عندما غيَّرتَ دَرْبَكَ؟

قلت: يا هذا، أنا هُوَ أنت
لكني قفزتُ عن الجدار لكي أرى
ماذا سيحدث لو رآني الغيبُ أَقطِفُ
من حدائقِهِ المُعَلَّقةِ البنفسجَ باحترامٍ ...
رُبَّما أَلقى السلام، وقال لي:
عُدْ سالماً ...
وقفزت عن هذا الجدار لكي أرى
ما لا يُرى
وأَقيسَ عُمْقَ الهاوية

6

لا تعتذر عـمَّا فعلت

لا تعتذرْ عمَّا فَعَلْتَ ـ أَقول في
سرِّي. أقول لآخَري الشخصيِّ:
ها هِيَ ذكرياتُكَ كُلُّها مرئيَّةٌ:
ضَجَرُ الظهيرة في نُعَاس القطِّ/
عُرْفُ الديكِ/
عطرُ المريميَّةِ/
قهوةُ الأُمِّ/
الحصيرةُ والوسائدُ/
بابُ غُرْفَتِكَ الحديديُّ/
الذبابةُ حول سقراطَ/
السحابةُ فوق أفلاطونَ/
ديوانُ الحماسةِ/

صورةُ الأبِ/
مُعْجمُ البلدانِ/
شيكسبير/
الأشقّاءُ الثلاثةُ، والشقيقاتُ الثلاثُ،
وأَصدقاؤك في الطفولة، والفضوليُّون:
«هل هذا هُوَ؟» اختلف الشهودُ:
لعلَّه، وكأنه. فسألتُ: «مَنْ هُوَ؟»
لم يُجيبوني. هَمَسْتُ لآخري: «أَهو
الذي قد كان أنتَ ... أنا؟» فغضَّ
الطرف. والتفتوا إلى أُمّي لتشهد
أَنني هُوَ ... فاستعدَّتْ للغناء على
طريقتها: أنا الأمُّ التي ولدتْهُ،
لكنَّ الرياحَ هِيَ التي رَبَّتْهُ.
قلتُ لآخري: لا تعتذر إلاّ لأمِّكْ!

7

في مثل هذا اليوم

في مثل هذا اليوم، في الطَّرَفِ الخفيِّ
من الكنيسةِ، في بهاءٍ كاملِ التأنيث،
في السنة الكبيسة، في التقاء الأخضر
الأبديّ بالكُحْليّ في هذا الصباح، وفي
التقاء الشكل بالمضمون، والحسيّ بالصُّوفيّ،
تحت عريشةٍ فَضْفَاضَةٍ في ظلّ دوريٍّ
يوتِّرُ صورةَ المعنى، وفي هذا المكان
العاطفيّ/
سألتقي بنهايتي وبدايتي
وأَقول: ويحكما! خذاني وآتركا
قلبَ الحقيقة طازَجاً لبنات آوى الجائعاتِ،
أَقول: لَسْتُ مواطناً

أو لاجئاً
وأُريد شيئاً واحداً، لا غير،
شيئاً واحداً:
موتاً بسيطاً هادئاً
في مثل هذا اليوم،
في الطرف الخفيّ من الزَّنَابقِ،
قد يُعَوِّضُني كثيراً أو قليلا
عن حياةٍ كنت أُحْصيها
دقائقَ
أو رحيلا
وأُريد موتاً في الحديقةِ
ليس أكثرَ أو أقلّ!

8

أنـزلْ هنا، والآن

أَنزلْ، هنا، والآن، عن كَتِفَيْكَ قَبْرَكَ
وأعطِ عُمْرَكَ فُرْصَةً أخرى لترميم الحكايةِ
ليس كُلُّ الحُبِّ موتاً
ليستِ الأرضُ اغتراباً مزمناً،
فلربما جاءت مناسبةٌ، فتنسى
لَسْعَةَ العَسَلِ القديم، كأنْ تحبُّ
وأَنتَ لا تدري فتاةً لا تحبُّكَ
أو تحبُّكَ، دون أن تدري لماذا
لا تحبُّكَ أو تحبُّكَ/
أو تحسُّ وأنت مُسْتَنِدٌ إلى دَرَجٍ
بأنك كنتَ غيرك في الثنائياتِ/
فاخرج من «أنا» كَ إلى سواكَ

ومن رُؤَاكَ إلى خُطَاكَ
ومُدَّ جسرَكَ عالياً،
فاللامكانُ هُوَ المكيدةُ،
والبَعُوضُ على السياج يَحُكُّ ظَهْرَكَ،
قد تذكِّرُكَ البَعُوضةُ بالحياةِ!
فجرِّبِ الآن الحياةَ لكي تُدَرِّبكَ الحياةُ
على الحياةِ،
وخفِّف الذكرى عن الأُنثى
وأَنْزِلْ
ها هنا
والآن
عن كتفيكَ ... قَبْرَكْ!

9

إن عدت وحدك

إن عُدْتَ وَحْدَكَ، قُلْ لنفسك:
غيَّرَ المنفى ملامحه ...
ألم يفجعْ أبو تمَّام قَبْلَكَ
حين قابل نفسَهُ:
«لا أنتِ أنتِ
ولا الديارُ هِيَ الديارُ»...

ستحمل الأشياءُ عنك شعورَكَ الوطنيَّ:
تنبتُ زهرةٌ بريَّةٌ في ركنك المهجورِ/
ينقُرُ طائرُ الدوريِّ حَرْفَ «الحاء»،
في اسمكَ،
في لحاء التِّينَةِ المكسورِ/

تلسعُ نَحْلَةٌ يَدَكَ التي امتدَّتْ
إلى زَغَبِ الإِوزَّةِ خلف هذا السورِ/

أمّا أنت،
فالمرآةُ قد خَذَلَتْكَ،
أنْتَ ... ولَسْتَ أنتَ، تقولُ:
«أين تركت وجهي؟»
ثم تبحثُ عن شعورك، خارج الأشياءِ،
بين سعادةٍ تبكي وإحباطٍ يُقَهْقِهُ ...
هل وجدت الآن نفسك؟
قل لنفسك: عُدْتُ وحدي ناقصاً
قَمَرَيْنِ،
لكنَّ الديارَ هي الديار!

10

لم أعتذر للبئر

لم أَعتَذِرْ للبئر حين مَرَرْتُ بالبئرِ،
استَعَرْتُ من الصَّنَوْبَرة العتيقةِ غيمةً
وعَصَرْتُها كالبرتقالةِ، وانتظرتُ غزالة
بيضاءَ أسطوريَّةً. وأَمَرْتُ قلبي بالتريّث:
كُنْ حيادياً كأنَّكَ لَسْتَ مني! ها هنا
وقف الرُّعاةُ الطيِّبون على الهواء وطوَّروا
النايات، ثم استدرجوا خجلَ الجبال إلى
الفخاخ. وها هنا أَسْرَجْتُ للطيران نحو
كواكبي فَرَساً، وطرتُ. وها هنا قالت
لي العرَّافةُ: احذرْ شارع الإسفلت
والعرباتِ وآمشِ على زفيرك. ها هنا
أرخيتُ ظلِّي وانتظرتُ، آخْتَرْتُ أَصغرَ

صخرةٍ وَسَهِرْتُ. كَسَرْتُ الخرافة وانكسرتُ.
ودُرْتُ حول البئر حتى طِرْتُ من نفسي
إلى ما ليس منها. صاح بي صوتٌ
عميقٌ: ليس هذا القبرُ قَبرِكَ، فاعتذرت.
قرأت آيات من الذكر الحكيم، وقُلْتُ
للمجهول في البئر: السلام عليك يوم
قُتِلْتَ في أَرض السلام، ويَوْمَ تصعَدُ
من ظلام البئر حيّا!

11

لا راية في الريح

لا رايةٌ في الريح تخفقُ/
لا حصانٌ سابحٌ في الريحِ/
لا طَبْلٌ يُبَشِّرُ بارتفاعِ الموجِ
أو بهبوطِهِ،
لا شيءَ يحدثُ في التراجيديّات هذا اليومَ/
أُسْدِلَتِ الستارَةُ/
غادَرَ الشعراءُ والمتفرّجونَ،
فلا أَرُزٌّ/
لا مظاهرةٌ/
ولا أَغصانُ زيتونٍ تُحَيّي الهابطينَ
من المراكبِ مُتْعَبينَ من الرُّعافِ
وخفَّةِ الفصلِ الأخيرِ/

كأَنَّهُم يأتون من قَدَرٍ إلى قَدَرٍ/
مصائرُهُم مُدَوَّنةٌ وراء النصّ،
إغريقيَّةٌ في شكل طُرْواديَّةٍ،
بيضاءَ، أو سوداءَ/
لا انكسروا ولا انتصروا
ولم يتساءلوا: ماذا سيحدُثُ في صباح غدٍ
وماذا بعد هذا الانتظار الهوميريّ؟/
كأنه حُلْمٌ جميلٌ يُنْصِفُ الأسرى
ويُسْعِفُهُمْ على الليل المحليِّ الطويل،
كأنهم قالوا:
« نُداوي جرحنا بالملحِ
« نحيا قرب ذكرانا
« نجرِّبُ موتنا العاديَّ
« ننتظر القيامةَ، ههنا، في دارها
في الفصل ما بعد الأخير...»

12

سقط الحصان عن القصيدة

سَقَطَ الحصانُ عن القصيدةِ
والجليليّاتُ كُنَّ مُبَلَّلاتٍ
بالفَراشِ وبالندى،
يَرْقُصْنَ فوق الأقحوانْ

□

الغائبان: أنا وأنتِ
أَنا وأنتِ الغائبانْ

□

زوجا يمام أَبيضانْ
يَتَسامران على غُصون السنديانْ

□

لا مُحبٌّ، لكني أُحبُّ قصائدَ
الحبِّ القديمةَ، تَحرسُ
القَمَرَ المريضَ من الدخانْ

□

كرٌّ وفرٌّ، كالكَمَنْجَةِ في الرباعيّاتِ
أنأى عن زماني حين أَدنو
من تضاريس المكانْ ...

□

لم يَبْقَ في اللغة الحديثةِ هامشٌ
للاحتفاء بما نحبُّ،
فكُلُّ ما سيكونُ ... كانْ

□

سقط الحصان مُضَرَّجاً
بقصيدتي
وأنا سقطتُ مُضَرَّجاً
بدَمِ الحصانْ ...

13

لبلادنا

لبلادنا،
وَهِيَ القريبةُ من كلام اللّهِ،
سَقْفٌ من سحابْ
لبلادنا،
وهي البعيدةُ عن صفاتِ الاسمِ،
خارطةُ الغيابْ
لبلادنا،
وهي الصغيرة مثل حبّة سُمْسُمٍ،
أُفُقٌ سماويٌّ ... وهاويةٌ خفيّةْ
لبلادنا،
وهي الفقيرةُ مثل أَجنحة القَطَا،
كُتُبٌ مُقَدَّسَةٌ ... وجرحٌ في الهويّةْ

لبلادنا،
وهي المطوَّقةُ الممزَّقةُ التلال،
كمائنُ الماضي الجديد
لبلادنا، وهي السَّبِيّةُ
حُرِيَّةُ الموت اشتياقاً واحتراقا
وبلادُنا، في ليلها الدمويِّ
جَوْهَرَةٌ تشعُّ على البعيد على البعيد
تُضيء خارجَها ...
وأمَّا نحن، داخلها،
فنزدادُ اختناقا!

14

ولنا بلاد

ولنا بلادٌ لا حُدُودَ لها، كفكرتنا عن
المجهول، ضيّقَةٌ وواسِعَةٌ. بلادٌ ...
حين نمشي في خريطتها تضيقُ بنا،
وتأخذنا إلى نَفَقٍ رماديّ، فنصرخ
في متاهتها: وما زلنا نحبُّك. حُبُّنا
مَرَضٌ وراثيٌّ. بلادٌ ... حين
تنبذُنا إلى المجهول ... تكبرُ. يكبرُ
الصفصافُ والأوصافُ. يكبرُ عُشْبُها
وجبالُها الزرقاءُ. تتّسعُ البحيرةُ في
شمالِ الروحِ. ترتفعُ السنابلُ في جنوب
الروح. تلمعُ حبّةُ الليمون قنديلاً
على ليل المُهاجِرِ. تسطعُ الجغرافيا

كُتُباً مُقَدَّسَةً. وسلسلةُ التلال
تصير معراجاً، إلى الأَعلى ... إلى الأُعلى.
«لو أنّيَ طائرٌ لحرقتُ أَجنحتي» يقول
لنفسه المنفيُّ. رائحةُ الخريف تصيرُ
صورةَ ما أُحبُّ... تسرَّبَ المطرُ
الخفيفُ إلى جفاف القلب، فانفتح الخيالُ
على مصادِرِهِ، وصار هو المكانَ، هو
الحقيقيَّ الوحيدَ. وكُلُّ شيء في
البعيد يعود ريفياً بدائياً، كأنَّ الأرضَ
ما زالت تكوِّن نفسها للقاء آدَمَ، نازلاً
للطابق الأرضيِّ من فردوسه. فأقول:
تلك بلادنا حُبْلى بنا ... فمتى وُلِدْنا؟
هل تزوَّج آدمُ امرأتين؟ أَم أنَّا
سَنُولَدُ مرةً أخرى
لكي ننسى الخطيئةَ؟

15

لا شيء إلاّ الضوء

لا شيءَ إلاّ الضوء،
لم أوقفْ حصاني
إلاّ لأقطف وردةً حمراءَ من
بُسْتَان كَنْعَانِيَّةٍ أَغْوَتْ حصاني
وتحصَّنَتْ في الضوءِ:
«لا تدخُلْ ولا تخرجْ» ...
فلم أَدخلْ، ولم أَخرجْ
وقالت: هل تراني؟
فهمستُ: ينقصني، لأعرف، فارقٌ
بين المسافر والطريق، وفارقٌ
بين المغنّي والأغاني ...
جَلَسَتْ أَريحا، مثل حرف

من حروف الأبجدية، في آسمها
وَكَبوْتُ في آسمي
عند مُفْتَرَقِ المعاني ...
أَنا ما أكونُ غداً
ولم أُوقفْ حصاني
إلاَّ لأَقطِفَ وردةً حمراءَ من
بستان كَنْعَانِيَّةٍ أَغوتْ حصاني
ومضيتُ أبحث عن مكاني
أَعلى وأَبْعَدَ،
ثم أَعلى ثم أَبعَدَ،
من زماني ...

16

نزف الحبيبُ شقائق النعمان

نَزَفَ الحبيبُ شقائقَ النُّعمانِ،
أَرضُ الأرجوان تلألأتْ بجروحِهِ،
أُولى أَغانيها: دَمُ الحُبِّ الذي سفكته آلهةٌ،
وآخرُها دَمٌ ...
يا شعبَ كَنْعَانَ احتفلْ
بربيع أَرضك، واشتعلْ
كزهورها، يا شعب كنعان المُجرَّدَ من
سلاحك، واكتملْ!
من حُسْن حَظِّكَ أَنَّكَ اخترتَ الزراعةَ مِهْنَةً
من سوء حظك أَنَّكَ اخترتَ البساتينَ
القريبةَ من حدود الله،
حيث السيفُ يكتب سِيرَةَ الصَّلْصَالِ...

فلتَكُنِ السنابلُ بجيْشَكَ الأَبديَّ،
وليكنِ الخلودُ كلابَ صيدٍ
في حقول القمح،
ولتكن الأيائِلُ حُرَّةً
كقصيدةٍ رعويةٍ ...

نَزَفَ الحبيبُ شقائقَ النعمان،
فاصفرَّتْ صخورُ السَّفْحِ من
وَجَع المخاض الصعبِ،
واحمرَّتْ،
وسال الماءُ أَحمرَ
في عروق ربيعنا ...
أُولى أغانينا دَمُ الحُبِّ الذي
سفكته آلهةٌ،
وآخرُها دَمٌ سَفَكَتْهُ آلهةُ الحديد...

17

في القدس

في القدس، أَعني داخلَ السُّور القديمِ،
أَسيرُ من زَمَنٍ إلى زَمَنٍ بلا ذكرى
تُصوِّبُني. فإن الأنبياءَ هناك يقتسمون
تاريخَ المقدَّسِ ... يصعدون إلى السماء
ويرجعون أَقلَّ إحباطاً وحزناً، فالمحبَّةُ
والسلامُ مُقَدَّسَان وقادمان إلى المدينة.
كنت أَمشي فوق مُنْحَدَرٍ وأَهْجِسُ: كيف
يختلف الرُواةُ على كلام الضوء في حَجَرٍ؟
أَمِنْ حَجَرٍ شحيحِ الضوء تندلعُ الحروبُ؟
أَسير في نومي. أُحملق في منامي. لا
أرى أحداً ورائي. لا أرى أَحداً أمامي.
كُلُّ هذا الضوءِ لي. أَمشي. أخفُّ. أطيرُ

ثم أَصير غيري في التَّجلِّي. تنبُتُ
الكلماتُ كالأعشاب من فم أشعيا
النّبويِّ: «إنْ لم تؤْمنوا لن تَأْمَنُوا».
أَمشي كأنّي واحدٌ غيري. وجُرْحي وَرْدَةٌ
بيضاءُ إنجيليَّةٌ. ويدايَ مثل حمامتَيْنِ
على الصليب تُحلِّقان وتحملان الأرضَ.
لا أَمشي، أَطيرُ، أَصيرُ غَيْري في
التجلِّي. لا مكانَ ولا زمانَ. فمن أَنا؟
أَنا لا أنا في حضرة المعراج. لكنّي
أُفكِّرُ: وَحْدَهُ، كان النبيّ محمَّدٌ
يتكلَّمُ العربيَّةَ الفُصْحَى. «وماذا بعد؟»
ماذا بعد؟ صاحت فجأةً جنديَّةٌ:
هُوَ أَنتَ ثانيةً؟ أَلم أَقتلْكَ؟
قلت: قَتَلْتِني ... ونسيتُ، مثلك، أن أَموت.

18

بغيابها كَوَّنْت صورتها

بغيابها، كَوَّنْتُ صُورَتَها: مِنَ الأَرضيِّ
يبتدىء السماويُّ الخفيُّ. أَنا هُنا أَزِنُ
المدى بمعلَّقات الجاهليِّين ... الغياب هُوَ
الدليلُ هُوَ الدليلُ. لكُلِّ قافِيَةٍ أُقيمتْ
خيمةٌ. ولكُلِّ شيء في مهبِّ الريح
قافيةٌ. يُعَلِّمني الغيابُ دروسه: «لولا
السرابُ لَمَا صَمَدْتَ...» وفي الفراغ
فَكَكْتُ حرفاً من حروف الأبجديّات القديمة،
واتَّكَأْتُ على الغياب. فَمَنْ أنا بعد
الزيارةِ؟ طائرٌ، أم عابرٌ بين الرموز
وباعةِ الذكرى؟ كأني قِطْعَةٌ أَثريَّةٌ،
وكأنني شَبَحٌ تسلَّلَ من يَبُوسَ، وقلْتُ لي:

فلنذهبنَّ إلى تلالٍ سَبْعَةٍ. فوضعْتُ
أَقْنِعَتي على حجرٍ، وسرتُ كما يسير
النائمون يقودُني حُلْمي. ومن قَمَرٍ إلى
قمر قَفَزْتُ. هناك ما يكفي من اللاوعي
كي تَتحرَّر الأشياءُ من تاريخها. وهناك
ما يكفي من التاريخ كي يتحرَّر اللاوعيُ
من معراجه. «خذني إلى سنواتِنا
الأولى» ـ تقول صديقتي الأولى. «دَعِي
الشُبَّاكَ مفتوحاً ليدخل طائرُ الدوريّ
حُلْمَكِ» ... ثم أَصحو، لا مدينةَ في
المدينةِ. لا «هُنا» إلاّ «هناك». ولا
هناك سوى هنا. لولا السرابُ
لَمَا مَشيْتُ إلى تلالٍ سَبْعَةٍ...
لولا السراب!

19

الأربعاء، الجمعة، السبت

الأربعاءُ/
آلجُمُعَةُ/
آلسَّبْتُ/
آلأساطيرُ، آلبلادُ، تشابَهتْ...
لو كان لي قلبان لم أَندم على
حبّ، فإنْ أَخطَأتُ قُلْتُ: أَسأتَ
يا قلبي الجريحَ الاختيارَ!... وقادني
القلبُ الصحيحُ إلى الينابيع/

آلخميسُ
الشَّوْسَنُ/
الاثنين/

أسماءُ المكان تشابَهتْ. أرْهَقتُ أُغنيتي
بوصف الظلّ. والمعنى يَرَى قَلْبَ
الظلام ولا يُرى. قال الكلامُ كلامَهُ،
فبكتْ إلهاتٌ كثيراتٌ على أدوارهنَّ/

ألحكمةُ/
الأحَدُ/
الغَدُ/
الطُرقُ، الثلاثاءُ، السماء، تشابهت ...
لو كان لي دربان لاخترتُ البديلَ
الثالثَ. انكشَفَ الطريقُ الأوّلُ،
انكشَفَ الطريقُ الآخَرُ،
انكشَفَتْ دُروبُ الهاويةْ

20

زيتونتان

زيتونتانِ عتيقتانِ على شمال الشرقِ،
في الأولى اختبأتُ لأخدَعَ الراوي
وفي الأخرى خَبَأْتُ شقائق النعمانْ

إن شئتُ أن أنسى ... تَذَكَّرْتُ
امتلأتُ بحاضري، واخترتُ يومَ
ولادتي ... لأرتِّبَ النسيانْ

تَتَشَعَّبُ الذكرى. هُنَا قَمَرٌ يُعِدُّ
وليمةً لغيابه. وهناك بئرٌ في
جنوبيِّ الحديقة زُفَّتِ امرأةٌ إلى شيطانْ

كُلُّ الملائكة الذين أُحِبُّهُم
أخذوا الربيعَ من المكان، صباح
أمسِ، وأورثوني قمَّة البُرْكانْ

أنا آدمُ الثاني. تَعَلَّمْتُ القراءةَ
والكتابةَ من دروس خطيئتي،
وغدي سيبدأ من هنا، والآنْ

إن شئتُ أن أنسى... تذكَّرتُ
انتقيْتُ بدايةً، وَوُلِدْتُ كيف أردتُ
لا بطلاً ... ولا قُرْبانْ

تَتَشَعَّبُ الذكرى وتلعَبُ. ها هنا
زيتونتان عتيقتان على شمال الشرقِ
في الأولى وَجَدْتُ بُذورَ أُغنيتي

وفي الأخرى وَجدْتُ رسالةً
من قائد الرومانُ:

يا إخوَةَ الزيتونِ
أطلُبُ منكمُ الغفران،
أطلب منكمُ الغفران...

21

لا ينظرون وراءهم

لا ينظرونَ وراءهمْ ليودِّعوا منفى،
فإنَّ أمامهم منفى، لقد أَلِفُوا الطريق
الدائريَّ، فلا أمامَ ولا وراء، ولا
شمالَ ولا جنوبَ. «يهاجرون» من
السياج إلى الحديقة. يتركون وصيَّةً
في كل مِتْرٍ من فِناء البيت:
«لا تتذكَّروا من بعدنا
إلاَّ الحياة» ...
«يسافرون» من الصباح السندسيِّ إلى
غبارٍ في الظهيرة، حاملين نُعُوشَهُمْ ملأى
بأشياء الغياب: بطاقةٍ شخصيّةٍ، ورسالةٍ
لحبيبة مَجْهُولَةِ العُنْوانِ:

«لا تتذكَّري من بعدنا
إلاَّ الحياة»
و«يرحلون» من البيوت إلى الشوارع،
راسمينَ إشارةَ النصر الجريحةَ، قائلين
لمن يراهُمْ:
«لم نَزَلْ نحيا، فلا تتذكَّرونا»!
يخرجون من الحكاية للتنفُّس والتشمُّسِ.
يحلُمُون بفكْرةِ الطَّيَرانِ أَعلى... ثم أَعلى.
يصعدون ويهبطون. ويذهبون ويرجعون.
ويقفزون من السيراميك القديم إلى النجوم.
ويرجعون إلى الحكاية ... لا نهايةَ للبدايةِ.
يهربون من النُّعَاس إلى مَلاَك النوم،
أَبيضَ، أَحْمَرَ العينين من أَثَرِ التأمُّل
في الدم المسفوكِ:
«لا تتذكروا من بعدنا
إلاّ الحياة» ...

22

لم يسألوا: ماذا وراء الموت

لم يسألوا: ماذا وراء الموت؟ كانوا
يَحفظُون خريطةَ الفردوس أكثرَ من
كتاب الأرضِ، يُشْغِلُهُمْ سؤال آخر:
ماذا سنفعل قبل هذا الموت؟ قرب
حياتنا نحيا، ولا نحيا. كأنَّ حياتنا
حِصَصٌ من الصحراء مُخْتَلفٌ عليها بين
آلهة العِقار، ونحن جيرانُ الغبار الغابرونَ.
حياتنا عبءٌ على ليل المُؤرّخ: «كُلّما
أخفيتُهم طلعوا عليّ من الغيَاب»...
حياتنا عبءٌ على الرسام: «أَرسُمُهُمْ،
فأصبح واحداً منهم، ويحجبني الضباب».
حياتنا عبءٌ على الجنرال: «كيف يسيل

من شَبَحٍ دم؟» وحياتنا
هي أن نكون كما نريد. نريد أَن
نحيا قليلاً، لا لشيء ... بل لِنَحْتَرِمَ
القيامَةَ بعد هذا الموت. واقتبسوا،
بلا قَصْدٍ كلامَ الفيلسوف: «ألموت
لا يعني لنا شيئاً. نكونُ فلا يكونُ.
ألموت لا يعني لنا شيئاً. يكونُ فلا
نكونُ»
ورتَّبوا أحلامهُمْ
بطريقةٍ أخرى. وناموا واقفين!

23

قتلى ومجهولون

قتلى، ومجهولون. لا نِسْيانَ يجمعُهُمْ
ولا ذكرى تفرّقهُمْ ... ومنسيّون في
عُشْبِ الشتاءِ على الطريق العامِّ بين
حكايتين طويلتين عن البُطُولةِ والعذابِ.
«أَنا الضحيّةُ». «لا. أَنا وحدي
الضحية». لم يقولوا للمؤلّف: «لا
ضحيّةَ تقتل الأخرى. هنالك في
الحكاية قاتلٌ وضحيّةٌ». كانوا صغاراً
يقطفون الثلج عن سَرْوِ المسيح،
ويلعبون مع الملائكة الصغار، فإنَّهُمْ
أَبناءُ جيلٍ واحدٍ .... يتسرَّبُون من
المدارس هاربينَ من الرياضيّات والشعرِ

الحماسيّ القديم، ويلعبون مَعَ الجنود،
على الحواجز، لُعْبَةَ الموت البريئةَ.
لم يقولوا للجنود: دعوا البنادقَ
وافتحوا الطرقاتِ كي تجدَ الفراشةُ
أُمَّها قرب الصباح، وكي نطير مع
الفراشة خارج الأحلام، فالأحلامُ
ضيِّقَةٌ على أبوابنا. كانوا صغاراً
يلعبون، ويصنعون حكايةً للوردة
الحمراء تحت الثلج، خَلْفَ حكايتَيْنِ
طويلَتيْنِ عن البطولة والعذاب، ويهربون
مَعَ الملائكة الصغار إلى سماء صافيةْ.

24

السروة انكسرت

«السروة شجن الشجرة وليس
الشجرة، ولا ظل لها لأنها ظل الشجرة»
بسام حجار

أَلسروةُ آنكَسَرَتْ كمئذنةٍ، ونامت في
الطريق على تَقَشُّف ظلِّها، خضراءَ، داكنةً،
كما هِيَ. لم يُصَبْ أَحدٌ بسوء. مَرّت
العَرَباتُ مُسْرِعَةً على أغصانها. هَبَّ الغبارُ
على الزجاج .../ أَلسروةُ انكسرتْ، ولكنَّ
الحمامةَ لم تغيِّر عُشَّها العَلَنيَّ في دارٍ
مُجاورةٍ. وحلّق طائران مهاجران على
كَفَاف مكانها، وتبادلا بعضَ الرموز.
وقالت امرأةٌ لجارتها: تُرَى، شاهَدْتِ عاصفةً؟

فقالت: لا، ولا جرّافةٌ.../ والسروةُ
انكسرتْ. وقال العابرون على الحطام:
لعلَّها سَئِمَتْ من الإهمال، أَو هَرِمَتْ
من الأيَّام، فَهْيَ طويلةٌ كزرافةٍ، وقليلةُ
المعنى كمكنسةِ الغبار، ولا تُظَلِّلُ عاشِقَيْن.
وقال طفلٌ: كنتُ أَرسمها بلا خطأ،
فإنَّ قوامَها سَهْلٌ. وقالت طفلةٌ: إن
السماءَ اليوم ناقصةٌ لأن السروة انكسرت.
وقال فتىً: ولكنَّ السماءَ اليوم كاملةٌ
لأن السروةَ انكسرتْ. وقُلْتُ أَنا
لنفسي: لا غُموضَ ولا وُضُوحَ،
السروة انكسرتْ، وهذا كُلُّ ما في
الأمرِ: إنَّ السروة انكسرتْ!

25

رجل وخشف في الحديقة

[إلى سليمان الجاب]

رَجُلٌ وخِشْفٌ في الحديقة يلعبان معاً...
أَقولُ لصاحبي: مِنْ أين جاءَ ٱبْنُ الغزالِ؟
يقولُ: جاء من السماء. لعلَّهُ «يَحْيَى»
رُزِقْتُ به لِيُؤْنِسَ وحشتي. لا أُمَّ
تُرْضِعُهُ فكُنْتُ الأمَّ، أسقيهِ حليبَ
الشاة ممزوجاً بِملعَقَةٍ منَ العَسَلِ
المُعَطَّرِ. ثم أحملُهُ كغيمَةِ عاشقٍ في
غابة البلّوطِ ...
قُلْتُ لصاحبي: هل صار يألَفُ بيتَكَ
المأهولَ بالأصوات والأدوات؟
قالَ: وصار يرقُدُ في سريري حين يمرضُ...

ثُمَّ قال: وصِرتُ أَمرَضُ حين يمرض.
صِرتُ أهذي: «أَيُّها الطفلُ اليتيم!
أنا أبوك وأُمُّكَ، انهضْ كي تعلِّمني
السكينةَ»/

بعد شهرٍ زُرْتُهُ في بيته الريفيّ.
كان كلامُهُ يبكي. لأوّل مرّةٍ يبكي سُلَيْمانُ
القويُّ، يقول لي متهدِّج الصوت: «آبنُ
الغزال، ابنُ الغزالة مات بين يديَّ.
لم يألف حياةَ البيت. لكنْ لم يَمُتْ
مثلي ومثلكَ...»

لم أَقل شيئاً لصاحبيَ الحزينِ. ولم
يودِّعني، كعادته، بأبياتٍ من الشعر
القديم. مشى إلى قبر الغزال الأبيض.
آحتَضَنَ الترابَ وأَجهش: «آنهضْ
كي ينام أبوك، يا آبني، في سريرك.

ها هنا أَجِدُ السكينةَ»/

نام في قبر الغزال، وصار لي
ماضٍ صغيرٌ في المكانْ:
رَجُلٌ وخِشْفٌ في الحديقة يرقدانْ!

26

هذا هو النسيان

هذا هُوَ النسيانُ حوَلكَ: يافطاتٌ
تُوقظُ الماضي، تحثُّ على التذكُر. تكبح
الزَّمَنَ السريعَ على إشارات المرور،
وتُغْلقُ الساحاتِ/

تمثالٌ رُخاميٌ هو النسيانُ. تمثالٌ
يُحمْلِقُ فيكَ: قِفْ مثلي لتشبِهَني.
وَضَعْ ورداً على قدميَّ/

أُغنيةٌ مُكرَّرَةٌ هو النسيانُ. أُغنيةٌ
تطاردُ ربَّةَ البيت احتفاءً بالمناسبة
السعيدةِ، في السرير وغرفة الڤيديو،

وفي صالونها الخاوي، ومطبخها/

وأَنصابٌ هو النسيانُ. أَنصابٌ على
الطرقات تأخذ هيئة الشَّجر البْرونزيِّ
المرصَّعِ بالمدائح والصقورِ/

ومتحفٌ خالٍ من الغد، باردٌ،
يروي الفصولَ المنتقاةَ من البدايةْ
هذا هو النسيانُ: أَن تتذكَّرَ الماضي
ولا تتذكَّرَ الغَدَ في الحكايةْ

27

تُنسى، كأنك لم تكن

تُنسى، كأنَّكَ لم تَكُنْ
تُنْسَى كمصرع طائرٍ
ككنيسةٍ مهجورةٍ تُنْسَى،
كحبٍّ عابرٍ
وكوردةٍ في الليل ... تُنْسَى

□

أَنا للطريق ... هناك من سَبَقَتْ خُطَاهُ خُطايَ
مَنْ أَمْلَى رُؤاهُ على رُؤَايَ. هُنَاكَ مَنْ
نَثَرَ الكلام على سجيَّتِهِ ليدخل في الحكايةِ
أَو يضيءَ لمن سيأتي بعدَهُ
أَثراً غنائياً ... وحدسا

□

تُنْسَى، كأنك لم تكن
شخصاً، ولا نصّاً ... وتُنْسَى

□

أَمشي على هَدْيِ البصيرة، رُبّما
أُعطي الحكايةَ سيرةً شخصيَّةً. فالمفرداتُ
تسُوسُني وأسُوسُها. أنا شكلها
وهي التجلِّي الحُرُّ. لكنْ قيل ما سأقول.
يسبقني غدٌ ماضٍ. أنا مَلِكُ الصدى.
لا عَرْشَ لي إلاَّ الهوامش. والطريقُ
هو الطريقةُ. رُبّما نَسِيَ الأُوائلُ وَصْفَ
شيء ما، أُحرِّكُ فيه ذاكرةً وحسّا

□

تُنسَى، كأنَّكَ لم تكن
خبراً، ولا أَثراً ... وتُنْسى

□

أَنا للطريق ... هناك مَنْ تمشي خُطَاهُ
على خُطَايَ، وَمَنْ سيتبعني إلى رؤيايَ.
مَنْ سيقول شعراً في مديح حدائقِ المنفى،
أمامَ البيت، حراً من عبادَةِ أمسِ،
حراً من كناياتي ومن لغتي، فأشهد
أنني حيٌّ
وحُرٌّ
حين أُنْسى!

28

أما أنا، فأقول لاسمي

أمّا أَنا، فأقولُ لاسْمي: دَعْكَ منّي
وابتعدْ عنّي، فإني ضقتُ منذ نطقتُ
واتَّسَعَتْ صفاتُك! خذ صفاتِكَ وامتحنْ
غيري ... حملتُك حين كنا قادرَيْن على
عبور النهر مُتَّحدين «أَنت أنا»، ولم
أَخْتَرْكَ يا ظلِّي السلوقيَّ الوفيَّ، اختارك
الآباء كي يتفاءلوا بالبحث عن معنى.
ولم يتساءلوا عمَّا سيحدُثُ للمُسَمَّى عندما
يقسو عليه الاسمُ، أَو يُمْلي عليه
كلامَهُ فيصير تابعَهُ ... فأين أَنا؟
وأَين حكايتي الصُّغْرَى وأوجاعي الصغيرةُ؟
تجلس امرأةٌ مَعَ اسْمي دون أَن

تصغي لصوتِ أُخُوَّةِ الحيوان
والإنسان في جَسَدي، وتروي لي
حكاية حبها، فأقول: إن أَعطيتِني يَدَكِ
الصغيرةَ صِرْتُ مثلَ حديقة .. فتقول:
لَسْتَ هُوَ الذي أَعنيه، لكني أُريد
نصيحةً شعريّةً. ويحملقُ الطلاب في
اسمي غير مكترثين بي، وأنا أَمرّ
كأنني شخص فضوليٌّ. وينظر قارىء
في اسمي، فيبدي رأيه فيه: أُحبُّ
مسيحَهُ الحافي، وأما شِعْرُهُ الذاتيُّ في
وَصْفِ الضباب، فلا! ... ويسألني:
لماذا كنت ترمقني بطَرْفٍ ساخرٍ. فأقول:
كنت أحاور اسمي: هل أَنا صِفَةٌ؟
فيسألني: وما شأني أنا؟/

أمّا أنا، فأقول لاسمي: أَعْطِني
ما ضاع من حرّيّتي!

29

الحلم، ما هو؟

ألحلْم، ما هُوَ؟
ما هُوَ اللاشيءُ هذا
عابرُ الزمنِ،
ألبهيُّ كنجمةٍ في أوَّل الحبِّ،
ألشَّهيُّ كصورةِ امرأةٍ
تدلِّكُ نهدها بالشَّمسِ؟/
ما هُوَ، لا أكاد أراه حتى
يختفي في الأمسِ/
لا هُوَ واقعٌ لأعيش وطأته وخفَّتَهُ
ولا هُوَ عكسُهُ لأطير حرّاً
في فضاء الحَدْسِ/
ما هُوَ، ما هُوَ اللاشيءُ، هذا الهَشُّ

هذا اللانهائيُ، الضعيفُ، الباطنيُّ
الزائرُ، المتطايرُ، المتناثرُ،
المتجدِّدُ المتعدِّدُ اللاَّ شكلٍ؟
ما هُوَ؟ لا يُجَسُّ ولا يُمَسّ/
ولا يَمُدُّ يداً إلى المُتَلهِّفين الحائرينَ
فما هُوَ السريُّ هذا،
الحائرُ، الحَذِرُ، المحيّرُ
حين أنتظرُ الزيارةَ مطمئنَّ النفسِ/
يكسرني ويخرجُ مثل لؤلؤةٍ
تُدَحرِجُ ضوءها،
ويقول لي: لا تنتظرني
إن أردتَ زيارتي
لا تنتظرني!

30

الآن، إذ تصحو، تذكّر

الآن، إذ تصحو، تَذَكَّرْ رَقْصَةَ البَجَعِ
الأخيرةَ. هل رَقَصْتَ مَعَ الملائكةِ الصغارِ
وأَنت تحلُمُ؟ هل أَضاءتك الفراشةُ عندما
احترقَتْ بضوءِ الوردة الأبديِّ؟ هل
ظهرتْ لك العنقاءُ واضحةً ... وهل نادتك
باسمك؟ هل رأيتَ الفجرَ يطلع من
أَصابع مَنْ تُحبُّ؟ وهل لَمَسْتَ الحُلْم
باليدِ، أَم تَرَكْتَ الحُلْمَ يحلُمُ وحْدَهُ،
حين انتبهتَ إلى غيابكَ بَغْتَةً؟
ما هكذا يُخْلي المنامَ الحالمونَ،
فإنهم يتوهجون،
ويكملون حياتهم في الحُلْمِ ...

قل لي: كيف كنت تعيش حلْمَك
في مكانٍ ما، أَقلْ لك مَنْ تكونُ

والآن، إذ تصحو، تذكَّرْ:
هل أَسَأْتَ إلى منامك؟
إن أسأت، إذاً تذكَّرْ
رقصةَ البجع الأخيرةْ!

31

الظلّ

الظلُّ، لا ذَكَرٌ ولا أُنثى
رماديٌّ، ولو أشْعَلْتُ فيه النارَ ...
يتبعُني، ويكبرُ ثُمَّ يصغرُ
كُنْتُ أمشي. كان يمشي
كنت أجلسُ. كان يجلسُ
كنت أركضُ. كان يركضُ
قلت: أخدعُهُ وأخلَعُ معطفي الكُحْليَّ
قلَّدني، وألقي عنه معطفَهُ الرماديَّ ...
آستدَرْتُ إلى الطريق الجانبيّةِ
فاستدار إلى الطريق الجانبيّةِ.
قُلْتُ: أخدعُهُ وأخرجُ من غروب مدينتي
فرأيتُهُ يمشي أمامي

في غروب مدينةٍ أخرى ...
فقلت: أَعود مُتَّكِئاً على عُكَّازتينِ
فعاد متكئاً على عكازتينِ
فقلت: أَحمله على كتفيَّ،
فاستَعْصَى ...
فقلتُ: إذنْ، سأتبعُهُ لأُخدَعَهُ
سأتبعُ بَبَّغاءَ الشكل سُخْرِيَةً
أُقلِّد ما يُقَلِّدني
لكي يَقَعَ الشبيهُ على الشبيه
فلا أَراهُ، ولا يراني.

32

لا شيء يعجبني

«لا شيءَ يُعْجبُني»
يقول مسافرٌ في الباصِ ـ لا الراديو
ولا صُحُفُ الصباحِ، ولا القلاعُ على التلال.
أُريد أن أبكي/
يقول السائقُ: انتظرِ الوصولَ إلى المحطَّةِ،
وابْكِ وحدك ما استطعتَ/
تقول سيّدةٌ: أَنا أَيضاً. أنا لا
شيءَ يُعْجبُني. دَلَلْتُ آبني على قبري،
فأعْجَبَهُ ونامَ، ولم يُوَدِّعْني/
يقول الجامعيُّ: ولا أَنا، لا شيءَ
يعجبني. دَرَسْتُ الأركيولوجيا دون أَن
أَجِدَ الهُوِيَّةَ في الحجارةِ. هل أنا

حقاً أنا؟/

ويقول جنديٌّ: أَنا أَيضاً. أَنا لا

شيءَ يُعْجِبُني. أُحاصِرُ دائماً شَبَحاً

يُحاصِرُني/

يقولُ السائقُ العصبيُّ: ها نحن

اقتربنا من محطتنا الأخيرة، فاستعدوا

للنزول .../

فيصرخون: نريدُ ما بَعْدَ المحطَّةِ،

فانطلق!

أمَّا أنا فأقولُ: أنْزِلْني هنا. أنا

مثلهم لا شيء يعجبني، ولكني تعبتُ

من السَّفَرْ.

33

هو هادئ، وأنا كذلك

هُوَ هادِئٌ، وأنا كذلكَ
يَحْتَسِي شاياً بليمونٍ،
وأَشربُ قهوةً،
هذا هُوَ الشيءُ المغايرُ بَيْنَنَا.
هُوَ يرتدي، مثلي، قميصاً واسعاً ومُخَطَّطاً
وأَنا أطالعُ، مثلَهُ، صُحُفَ المساءْ.
هُوَ لا يراني حين أَنظرُ خِلْسَةً،
أنا لا أراه حين ينظرُ خلسةً،
هو هادئٌ، وأنا كذلِكَ.
يسألُ الجرسونَ شيئاً،
أسألُ الجرسونَ شيئاً...
قطَّةٌ سوداءُ تعبُرُ بَيْنَنَا،
فأجسّ فروةَ ليلها

ويجسُّ فَرْوَةَ ليلها ...
أنا لا أقول لَهُ: السماءُ اليومَ صافيةٌ
وأكثرُ زرقةً.
هو لا يقول لي: السماءُ اليومَ صافيةٌ.
هو المرئيُّ والرائي
أنا المرئيُّ والرائي.
أحرِّكُ رِجْليَ اليُسرى
يحرك رجلَهُ اليُمنَى.
أدندنُ لَحْنَ أُغنيةٍ،
يدندن لحنَ أُغنية مُشَابهةٍ.
أُفكِّرُ: هل هو المرآةُ أبصر فيه نفسي؟

ثم أنظر نحو عينيهِ،
ولكنْ لا أراهُ ...
فأتركُ المقهى على عَجَلٍ.
أفكِّر: رُبَّما هو قاتلٌ، أو رُبَّما
هو عابرٌ قد ظنَّ أَني قاتلٌ

هو خائفٌ، وأنا كذلكْ!

34

وصف الغيوم

«لوصف الغيوم،
عليّ أن أسرع كثيراً
فبعد هنيهة لن تكون ما هي
عليه، ستصير أخرى»
شيمبورسكا

وَصْفُ الغيوم مَهارَةٌ لم أُوتَها ...
أَمشي على جَبَلٍ وأَنظُرُ من عَلٍ
نحو الغيوم، وقد تدلّتْ من مَدار اللازَوَرْدِ
خفيفةً وشفيفةً،
كالقطن تحلجه الرياحُ،
كفكرةٍ بيضاءَ عن معنى الوجود.
لعلَّ آلهةً تنقِّحُ قصَّةَ التكوينِ
«لا شكلٌ نهائيٌ لهذا الكون...

لا تاريخَ للأشكالِ..»
أَنظُرُ من عَلٍ، وأرى انبثاقَ الشكلِ
من عَبثيّة اللاّشكلِ:
ريشُ الطير يَنْبُتُ في قُرون الأيْل البيضاءِ،
وَجْهُ الكائن البشريّ يطلع من
جناح الطائر المائيّ ...
ترسُمُنا الغيومُ على وَتيرتها
وتختلط الوجوه مع الرؤى
لم يكتمل شيء ولا أَحد، فبعد هنيهة
ستصيرُ صورتُكَ الجديدةُ صُورَةَ النَّمِرِ
الجريحِ بصولجان الريحِ ...
رسَّامون مجهولون ما زالوا أمامك
يلعبون، ويرسمون المُطْلَقَ الأبديَّ،
أَبيضَ، كالغيوم على جدار الكونِ ...
والشعراءُ يبنون المنازلَ بالغيومِ
ويذهبون...

لكُلِّ حسٍّ صورةٌ،
ولكُلِّ وقتٍ غيمةٌ،
لكن أَعمارَ الغيوم قصيرةٌ في الريح،
كالأبد المؤقت في القصائدِ،
لا يزول ولا يدوم ...

من حُسْنِ حظّي أَنني أَمشي على جَبَلٍ
وأَنظر من علٍ
نحو الغيوم...

35

هي جملة اسمية

هي جُمَلَةٌ إسميَّةٌ، لا فِعْلَ
فيها أو لها: للبحر رائحةُ الأَسِرَّةِ
بعد فِعْلِ الحُبِّ ... عطرٌ مالحٌ أَو
حامضٌ. هِيَ جملة إسميَّة: فرحي
جريحٌ كالغروب على شبابيك الغريبةِ.
زهرتي خضراءُ كالعنقاء. قلبي فائضٌ
عن حاجتي، متردِّدٌ ما بين بابَيْنِ:
الدخولُ هو الفُكَاهَةُ، والخروج هُوَ
المَتَاهَةُ. أَين ظلِّي ـ مرشدي وسط
الزحام على الطريق إلى القيامة؟ ليتني
حَجَرٌ قديمٌ داكنُ اللونيْنِ في سور المدينة،
كستنائيٌ وأَسودُ، طاعِنٌ في اللاشعور

تجاه زوَّاري وتأويل الظلال. وليت
للفعل المُضَارِع موطئاً للسير خلفي
أو أمامي، حافيَ القدمين. أَين
طريقيَ الثاني إلى دَرَج المدى؟ أَين
السُّدَى؟ أَين الطريقُ إلى الطريق؟
وأَين نَحْنُ، السائرين على خُطَى الفعل
المضارع، أَين نحن؟ كلامُنا خَبَرٌ
ومُبْتَدأً أمام البحر، والزَّبَدُ المراوغُ
في الكلام هُوَ النقاطُ على الحروف،
فليت للفعل المضارع موطئاً فوق
الرصيف ...

36

قل ما تشاء

قُلْ ما تشاءُ. ضَعِ النقاطَ على الحروفِ.
ضَعِ الحروفَ مع الحروف لتُولَدَ الكلماتُ،
غامضةً وواضحةً، ويبتدىءَ الكلامُ.
ضَعِ الكلامَ على المجاز. ضَعِ المجازَ على
الخيال. ضَعِ الخيالَ على تَلفُّته البعيد.
ضَعِ البعيدَ على البعيد ... سَيولَدُ الإيقاعُ
عند تَشَابُكِ الصُّوَرِ الغريبةِ من لقاء
الواقعيِّ مع الخياليِّ المُشَاكسِ/
هل كَتَبْتَ قصيدةً؟
كلا!
لعلَّ هناك ملحاً زائداً أَو ناقصاً
في المفردات. لعلَّ حادِثةً أَخلَّتْ بالتوازن

في مُعَادَلَةِ الظلال. لعلَّ نسراً
مات في أَعلى الجبال. لعلَّ أَرضَ
الرمز خفَّتْ في الكناية فاستباحتها
الرياحُ. لعلَّها ثَقُلَتْ على ريش الخيال.
لعلَّ قلبَكَ لم يفكِّرْ جيّداً، ولعلَّ
فِكْرَكَ لم يُحِسَّ بما يرجُّك. فالقصيدة،
زوجةُ الغد وٱبنةُ الماضي، تخيِّم في
مكانٍ غامضٍ بين الكتابة والكلامِ /
فهل كَتَبْت قصيدةً؟
كلا!
إذنْ، ماذا كتبتَ؟
كتبتُ درساً جامعيّاً،
واعتزلْتُ الشعر منذ عرفتُ
كيمياءَ القصيدة ... واعتزلتُ!

37

لا تكتب التاريخ شعراً

لا تكتبِ التاريخَ شعراً، فالسلاحُ هُوَ
المؤرِّخُ. والمؤرّخ لا يُصَابُ برعشة
الحُمَّى إذا سَمَّى ضحاياه ولا يُصْغي
إلى سرديّة الجيتار. والتاريخ يوميّاتُ
أَسلِحَةٍ مُدَوَّنةٌ على أَجسادنا. «إنَّ
الذكيَّ العبقريَّ هو القويُّ». وليس
للتاريخ عاطفةٌ لِنَشْعُرَ بالحنين إلى
بدايتنا، ولا قَصْدٌ لنعرف ما الأمام
وما الوراء ... ولا استراحاتٌ على
سِكك الحديد لندفن الموتى، وننظُرَ
صَوْبَ ما فَعَلَ الزمانُ بنا هناك، وما
فَعَلْنا بالزمان. كأنَّنا منهُ وخارجَهُ.

فلا هو منطقيٌّ أَو بديهيٌّ لنكسرَ
ما تَبَقَّى من خرافتنا عن الزمن السعيد،
ولا خرافيٌّ لنرضى بالإقامة عند أبواب
القيامةِ. إنَّهُ فينا وخارجنا.. وتكرارٌ
جُنُونيٌّ، من المِقْلاع حتى الصاعق النَّوَويِّ.
يصنعُنا ونصنعه بلا هَدَفٍ ... هل
التاريخ لم يُولَدْ كما شئنا، لأن
الكائنَ البشريَّ لم يُوجَدْ؟
فلاسِفَةٌ وفنَّانونَ مَرُّوا من هناك ...
ودوّن الشعراءُ يوميّاتِ أزهارِ البنفسج
ثم مروا من هناك... وصدَّق الفقراءُ
أَخباراً عن الفردوس وانتظروا هناك ...
وجاء آلهةٌ لإنقاذ الطبيعةِ من أُلوهيَّتِنا
ومَرُّوا من هناك. وليس للتاريخ
وَقْتٌ للتأمُّل، ليس للتاريخ مرآةٌ

وَوَجهٌ سافرٌ. هو واقعٌ لا واقعيٌ
أَو خيالٌ لا خياليٌ، فلا تكتبه.
لا تكتبه، لا تكتبه شعراً!

38

ماذا سيبقى؟

ماذا سَيَبْقَى من هِبات الغيمة البيضاءِ؟
ـ زَهْرَةُ بَيْلَسَانْ
ماذا سيبقى من رَذَاذ الموجة الزرقاءِ؟
ـ إيقاعُ الزمانْ
ماذا سيبقى من نزيف الفكرة الخضراءِ؟
ـ ماءٌ في عُرُوق السنديانْ
ماذا سيبقى من دُمُوع الحُبِّ؟
ـ وَشْمٌ ناعمٌ في الأُرجوانْ
ماذا سيبقى من غُبار البحث عن معنى؟
ـ طريقُ العنفوانْ
ماذا سيبقى من طريقِ الرحلة الكبرى
إلى المجهولِ؟

ـ أُغنيةُ المُسَافرِ للحصانْ

ماذا سيبقى من سراب الحُلْمِ؟

ـ آثارُ السماء على الكَمَانْ

ماذا سيبقى من لقاء الشيء باللاشيء؟

ـ إحساسُ الأُلوهة بالأمانْ

ماذا سيبقى من كلام الشاعر العربيّ؟

ـ هاويةٌ ... وخَيطٌ من دخانْ

ماذا سيبقى من كلامِكَ أنْتَ؟

ـ نسيانٌ ضروريٌّ لذاكرة المكانْ!

39

لا أعرف اسمك

ـ لا أعرفُ اسمَكِ

□ سَمِّني ما شئتَ

ـ لَسْتِ غزالةً

□ كلا. ولا فَرَساً

ـ ولستِ حَمَامَةَ المنفى

□ ولا حُوريّةً

ـ مَنْ أنتِ؟ ما اسمُكِ؟

□ سَمِّني، لأكونَ ما سَمَّيْتَني

ـ لا أستطيع، لأنني ريحٌ

وأنتِ غريبةٌ مثلي، وللأسماءِ أَرضٌ ما

□ إذنْ، أنا «لا أحَدٌ»

□ لا أَعرفُ آسمكَ، ما آسمُكَ؟
ـ آختاري من الأسماء أَقْرَبَها
إلى النسيان. سَمِّيني أَكُنْ في
أَهل هذا الليل ما سَمَّيْتني!
□ لا أَستطيعُ لأنني امرأةٌ مسافرةٌ
على ريحٍ. وأَنت مسافر مثلي،
وللأسماء عائلةٌ وبَيْتٌ واضحٌ
ـ فإذن، أنا «لا شيءَ» ...

قالت «لا أَحدٌ»:
سأعتنيء اسمك شَهْوَةً. جَسَدي
يلمُّكَ من جهاتكَ كُلِّها. جَسَدي
يضُمُّكَ من جهاتي كُلِّها، لتكون شيئاً ما
ونمضي باحِثَيْنِ عن الحياة...

فقال «لا شيء»: آلحياةُ جميلةٌ
مَعَكِ ... آلحياة جميلةٌ!

40

هي في المساء

هي في المساء وحيدةٌ،
وأنا وحيدٌ مثلها...
بيني وبين شموعها في المطعمِ الشتويِّ
طاولتان فارغتان [لا شيءٌ يعكِّرُ صَمْتَنا]
هي لا تراني، إذ أراها
حين تقطفُ وردةً من صدرها
وأنا كذلك لا أراها، إذ تراني
حين أَرشفُ من نبيذي قُبْلَةً ...
هي لا تُفَتِّتُ خبزها
وأنا كذلك لا أُريقُ الماءَ
فوق الشَّرْشَف الورقيِّ
[لا شيءٌ يكدِّر صَفْوَنا]

هي وَحدها، وأَنا أمامَ جمَالها
وحدي. لماذا لا تُوَحّدُنا الهَشَاشَةُ؟
قلت في نفسي -
لماذا لا أذوقُ نبيذَها؟
هي لا تراني، إذ أراها
حين ترفَعُ ساقَها عن ساقِها ...
وأَنا كذلك لا أراها، إذ تراني
حين أَخلَعُ معطفي ...
لا شيء يزعجها معي
لا شيء يزعجني، فنحن الآن
منسجمان في النسيان ...
كان عشاؤنا، كُلٌّ على حِدَةٍ، شهيّاً
كان صَوْتُ الليل أَزْرَقَ
لم أَكن وحدي، ولا هي وحدها
كنا معاً نصغي إلى البلَّوْرِ
[لا شيءَ يُكَسِّرُ ليلنا]

هِيَ لا تقولُ:
الحبُ يُولَدُ كائناً حيًا
ويُمْسِي فِكْرَةً.
وأنا كذلك لا أقول:
الحب أَمسى فكرةً

لكنه يبدو كذلك ...

41

في الانتظار

في الانتظار، يُصيبُني هَوَسٌ برصد
الاحتمالات الكثيرة: رُبَّما نَسِيَتْ حقيبتها
الصغيرة في القطار، فضاع عنواني
وضاع الهاتفُ المحمولُ، فانقطعت شهيّتها
وقالت: لا نصيبَ له من المطر الخفيفِ/
ورُبَّما انشَغَلَتْ بأمرٍ طارىءٍ أو رحلةٍ
نحو الجنوب لكي تزور الشمسَ، واتَّصَلَتْ
ولكن لم تَجِدْني في الصباح، فقد
خَرَجْتُ لأشتري غاردينيا لمسائنا وزجاجتينِ
من النبيذِ/
وربما اختَلَفَتْ مع الزَّوْجِ القديم على
شُؤون الذكريات، فأقْسَمَتْ ألّا ترى

رجلاً يُهدْهِدُها بصُنْعِ الذكرياتِ/
ورُبَّما اصطَدَمَتْ بتاكسي في الطريقِ
إليَّ، فانطفأتْ كواكب في مَجَرَّتها.
وما زالت تُعالَجُ بالمهدّىء والنعاسِ/
وربما نظرتْ إلى المرآة قبل خروجها
من نفسها، وتحسَّستْ أجّاصَتَيْنِ كبيرتينِ
تُمَوِّجان حريرَها، فتنهَّدَتْ وتردّدتْ:
هل يستحقُّ أنوثتي أَحدٌ سوايَ/
وربما عبرتْ، مُصادَفَةً، بِحُبٍّ
سابقٍ لم تَشْفَ منه، فرافَقَتْهُ إلى
العشاءِ/
ورُبَّما ماتَتْ،
فإنَّ الموت يعشق فجأة، مثلي،
وإنَّ الموتَ، مثلي، لا يحبُّ الانتظار

42

لو كنتُ غيري

لو كُنْتُ غيري في الطريق، لما التفتُّ
إلى الوراء، لَقُلْتُ ما قال المسافرُ
للمسافرة الغريبةِ: يا غريبةُ! أيقظي
الجيتارَ أكْثَرَ! أرجئي غَدَنا ليمتدَّ الطريقُ
بنا، ويتَّسعَ الفضاءُ لنا، فننجو من
حكايتنا معاً: كَمْ أَنتِ أنتِ.. وكم أنا
غيري أمامك ها هنا!

لو كُنْتُ غيري لانتميتُ إلى الطريق،
فلن أعود ولن تعودي. أيقظي الجيتار
كي نتحسَّسَ المجهولَ والجهةَ التي تُغْوي
المسافرَ باختبار الجاذبيّة. ما أنا إلاّ

خُطَايَ، وأنت بوصلتي وهاويتي معاً.
لو كُنْتُ غيري في الطريق، لكُنْتُ
أَخفيتُ العواطفَ في الحقيبة، كي
تكون قصيدتي مائيّةً، شَفَّافَةً، بيضاءَ،
تجريديَّةً، وخفيفةً... أقوى من الذكرى،
وأَضْعَفَ من حُبَيْبات الندى، وَلَقُلْتُ:
إنَّ هُوِيَتي هذا المدى!

لو كُنْتُ غيري في الطريق، لَقُلْتُ
للجيتار: دَرِّبْني على وَتَرٍ إضافيٍّ!
فإنَّ البيتَ أَبعدُ، والطريقَ إليه أَجملُ ـ
هكذا ستقول أُغنيتي الجديدةُ ـ كلما
طال الطريق تجدَّد المعنى، وصرتُ اثنين
في هذا الطريق: أنا ... وغيري!

43

شكراً لتونس

شكراً لتونسَ. أرْجَعَتْني سالماً من
حُبِّها، فبكيتُ بين نسائها في المسرح
البلديِّ حين تملَّصَ المعنى من الكلمات.
كُنْتُ أُودِّعُ الصيفَ الأخيرَ كما يودِّعُ
شاعرٌ أُغنيةً غَزَلِيَّةً: ماذا سأكتبُ
بعدها لحبيبةٍ أخرى ... إذا أحببتُ؟
في لُغتي دُوَارُ البحر. في لغتي رحيلٌ
غامضٌ من صُورَ. لا قرطاجَ تكبحُهُ، ولا
ريحُ البرابرة الجنوبيِّين. جئتُ على
وتيرة نَوْرَسٍ، ونَصَبْتُ خيمتي الجديدةَ
فوق مُنْحَدَرٍ سماويٍّ. سأكتبُ هٰهنا فصلاً
جديداً في مديح البحر: أُسْطوريَّةٌ

لغتي، وقلبي مَوْجةٌ زرقاءُ تخدشُ
صخرةً: «لا تُغطني، يا بحرُ، ما
لا أَستحقُّ من النشيد. ولا تكن
يا، بحرُ، أكثرَ أو أَقلَّ من النشيد!» ...
تطيرُ بيْ لُغَتي إلى مجهولنا الأَبديِّ،
خلف الحاضر المكسور من جِهَتَيْنِ: إنْ
تنظرْ وراءك تُوقظْ سَدُومُ المكان على
خطيئتِهِ... وإن تنظرْ أمامَكَ توقظِ
التاريخَ، فاحذرْ لَدْغَةَ الجهتين... واتبعْني.
أَقول لها: سأمكثُ عند تونس بين
مَنْزِلَتَيْنِ: لا بيتي هنا بيتي، ولا
منفايَ كالمنفى. وها أنذا أُودِّعُها،
فيجرحني هواءُ البحر ... مِسْكُ الليل يجرحني،
وعِقْدُ الياسمين على كلام الناس يجرحني،
ويجرحني التأمُّلُ في الطريق اللولبيّ إلى ضواحي
الأندلسْ ...

44

لي مقعد في المسرح المهجور

لِيَ مِقْعدٌ في المسرح المهجور في
بيروتَ. قد أنسى، وقد أتذكَّرُ
الفصلَ الأخيرَ بلا حنينٍ ... لا لشيءٍ
بل لأنَّ المسرحيَّةَ لم تكن مكتوبةً
بمهارةٍ ...
فوضى
كيوميّات حرب اليائسين، وسيرةٌ ذاتيّةٌ
لغرائز المتفرجين. مُمَثِّلون يُمَزِّقون نُصُوصَهُم
ويفتِّشون عن المؤلف بيننا، نحن الشهودَ
الجالسين على مقاعدنا.
أقول لجاريَ الفنّانِ: لا تُشْهر سلاحك،
وانتظرْ، إلاّ إذا كُنْتَ المُؤَلِّفَ!

ـ لا

ويسألني: وهل أنت المؤلِّفُ؟

ـ لا.

ونجلس خائِفَيْنِ. أَقول: كُنْ بَطَلاً

حياديّاً لتنجو من مصير واضحٍ

فيقول: لا بَطَلٌ يموت مُبَجَّلاً في المشهد

الثاني. سأنتظر البقيّةَ. ربما أَجريتُ

تعديلاً على أحد الفصول. وربما أَصلحتُ

ما صَنَعَ الحديدُ بإخوتي

فأقول: أَنتَ إذاً؟

يردُّ: أنا وأَنتَ مؤلِّفان مُقَنَّعان وشاهدان

مُقَنَّعان.

أقول: ما شأني؟ أَنا متفرِّجٌ

فيقول: لا متفرِّجٌ في باب هاويةٍ ... ولا

أَحدٌ حياديٌّ هنا. وعليك أن تختار

دورَكَ في النهايةْ

فأقول: تنقصني البداية، ما البداية؟

45

في الشام

في الشام، أَعرفُ مَنْ أنا وسط الزحام.
يَدُلُّني قَمَرٌ تَلأْلأَ في يد امرأةٍ... عليَّ.
يدلّني حَجَرٌ تَوَضَّأَ في دموع الياسمينة
ثم نام. يدلُّني بَرَدَى الفقيرُ كغيمةٍ
مكسورةٍ. ويَدُلُّني شِعْرٌ فُروسيٌّ عليَّ:
هناك عند نهاية النفق الطويل مُحَاصَرٌ
مثلي سَيُوقِدُ شمعةً، من جرحه، لتراهُ
ينفضُ عن عباءَتِهِ الظلامَ. تَدُلُّني رَيْحانةٌ
أرخت جدائلها على الموتى ودفَّأَت الرخام.
«هنا يكون الموتُ حبّاً نائماً» ويَدُلُّني
الشعراء، عُذْرِيِّين كانوا أم إباحيِّينَ،
صُوفيِّين كانوا أم زَنَادِقَةً،

عليٌ: إذا
ٱخْتَلَفْتَ عرفتَ نفسكَ، فاختلفْ تجد
الكلامَ على زهور اللوز شفّافاً، ويُقْرِئكَ
السماويُّ السلامَ. أَنا أَنا في الشام،
لا شَبَهي ولا شَبَحي. أَنا وغدي يداً
بيدٍ نُرَفْرِفُ في جناحَيْ طائرٍ. في الشام
أَمشي نائماً، وأَنامُ في حِضْنِ الغزالةِ
ماشياً. لا فرق بين نهارها والليل
إلاّ بعضُ أشغال الحمام. هناك أرضُ
الحُلْم عاليةٌ، ولكنَّ السماء تسيرُ عاريةً
وتَسْكُنُ بين أَهل الشام ...

46

في مصر

في مصرَ، لا تتشابهُ الساعاتُ ...
كُلُّ دقيقةٍ ذكرى تجدِّدُها طيورُ النيلِ.
كُنْتُ هناك. كان الكائنُ البشريُّ يبتكرُ
الإله/ الشمسَ. لا أَحَدٌ يُسَمِّي نفسَهُ
أَحداً. «أنا آبنُ النيل ـ هذا الاسم
يكفيني». ومنذ اللحظة الأولى تُسَمِّي
نفسك «ابن النيل» كي تتجنَّب العَدَم
الثقيل. هناك أحياءٌ وموتى يقطفون
معاً غيومَ القُطْنِ من أرض الصعيد،
ويزرعون القمحَ في الدلتا. وبين الحيِّ
والمَيْتِ الذي فيه تناوُبُ حارسين على
الدفاع عن النخيل. وكُلُّ شيء عاطفيٌّ

فيك، إذ تمشي على أطراف روحكَ في
دهاليز الزمان، كأنَّ أُمَّكَ مِصْرَ
قد وَلَدَتْكَ زَهْرَة لُوتسٍ، قبل الولادةِ،
هل عرفت الآن نفسَكَ؟ مصرُ تجلسُ
خلسةً مَعَ نفسها: «لا شيء يشبهني».
وترفو معطفَ الأبديَّة المثقوب من
إحدى جهات الريح. كُنْتُ هناك. كان
الكائنُ البشريُّ يكتب حكمة الموت / الحياة.
وكُلُّ شيء عاطفيٌّ، مُقْمِرٌ ... إلاَّ القصيدةَ
في التفاتتها إلى غدها تُفَكِّر بالخلود،
ولا تقول سوى هشاشتها أمام النيل...

47

أتذكّر السّيّاب

أَتذكَّرُ السَّيَّابَ، يصرخُ في الخليج سُدَىً:
«عِراقُ، عراقُ، ليس سوى العراق...»
ولا يردّ سوى الصدى.
أَتذكَّرُ السَّيَّابَ، في هذا الفضاء السومريِّ
تغلّبتْ أُنثى على عُقْمِ السديمِ
وأَوْرَثَتْنا الأرضَ والمنفى معاً
أَتذكَّرُ السيَّابَ... إن الشِّعْرَ يُولَدُ في العراقِ
فكُنْ عراقيّاً لتصبح شاعراً يا صاحبي!
أَتذكَّرُ السيّابَ، لم يَجِدِ الحياةَ كما
تخيَّلَ بين دجلةَ والفراتِ، فلم يفكّر
مثلَ جلجامشْ بأعشاب الخلودِ،
ولم يُفَكِّر بالقيامة بعدها...

أَتذكّرُ السيّابَ، يأخذُ عن حمورابي
الشرائعَ كي يُغَطِّي سَوْءَةً،
ويسير نحو ضريحه متصوّفاً.
أَتذكّرُ السيّابَ، حين أُصابُ بالحُمّى
وأهذي: إخوتي كانوا يُعِدُّون العَشَاءَ
لجيش هولاكو، ولا خَدَمٌ سواهُمْ ... إخوتي!
أَتذكّرُ السيّابَ، لم نَحْلُمْ بما لا
يستحقُّ النَّحْلُ من قُوتٍ. ولم نحلم
بأكثر من يدين صغيرتين تصافحان غيابنا.
أَتذكّرُ السيّاب. حدّادون موتى ينهضون
من القبور ويصنعون قيودنا.
أَتذكّرُ السيّابَ. إنَّ الشعرَ تجربةٌ ومنفى
توأمان. ونحن لم نحلُمْ بأكثر من
حياةٍ كالحياةِ، وأن نموت على طريقتنا
«عِراقُ
«عراقُ
« ليس سوى العراقُ ...»

II

طريق الساحل

طريقٌ يُؤدِّي إلى مصرَ والشام

[قلبي يرنُّ من الجِهَتَيْنْ]

طريقُ المسافر مِنْ ... وإلى نفسهِ

[جَسَدي ريشةٌ والمدى طائرٌ]

طريقُ الصواب ... طريقُ الخطأ

[لعلّي أَخطأتُ، لكنها التجربة]

طريقِ الصعود إلى شُرُفات السماء

[وأعلى وأعلى، وأَبعدُ]

طريقُ النزول إلى أوَّل الأرضِ

[إنَّ السماء رماديّةٌ]

طريق التأمّل في الحبّ

[فالحبُّ قد يجعلُ الذئبَ نادلَ مقهى]

طريقُ السنونو ورائحةُ البرتقال على البحرِ
[إنَّ الحنينَ هُوَ الرائحةُ]
طريقُ التَّوابلِ والملحِ والقمحِ
[والحربِ أَيضاً]
طريقُ السلام المُتَوَّجِ بالقُدْسِ
[بعد انتهاء الحروب صليبيّةِ الأَقنعة]
طريقُ التجارة والأبجديَّة، والحالمينَ
[بتأليف سيرةِ يَرْغَلَّةِ]
طريقُ غُزاةٍ يريدون ترميمَ تاريخهم
[بِنَقْدٍ مُودَعٍ في البنوك]
طريقُ التَّحَرُّشِ بالميثولوجيا
[فقد تَسْتَجيبُ إلى التكنولوجيا]
طريقُ التخلِّي، قليلاً، عن الإيديولوجيا
[لمصلَحَةِ العَوْلَمَةْ]

طريقٌ الصراع على أيِّ شيء

[ولو كان جِنْسَ الملاك]

طريقٌ الوفاق على كُلِّ شيء

[ولو كان أُنثى الحجر]

طريقُ الإخاء المُخَاتِلِ

[بين الغزالِ وصيّادِهِ]

طريقٌ يدلُّ على الشيء أو عكسه

[لفرط التَّشَابُه بين الكِنَايَةِ والاستعارة]

طريقُ الخيول التي صَرَعَتْها المسافات

[والطائرات ...]

طريقُ البريد القديم المُسَجّل

[كُلُّ الرسائل مُودَعَةٌ في خزائن قيصر]

طريقٌ يطول ويقصُرُ

[وَفْقَ مزاج أبي الطيِّب المُتنبِّي]

طريقُ الإلهاتِ مُنْحنياتِ الظُّهُور

[كرايات جيشٍ تَقَهْقَرْ]

طريقُ فتاةٍ تُظَلِّلُ عانَتها بالفراشةِ

[فاللازَوَرْدُ يُجَرِّدُها من ملابسها]

طريقُ الذين يُحيِّرُهُمْ وَصْفُ زهرةِ لوزٍ

[لأَنَّ الكثافةَ شَفَّافةٌ]

طريقٌ طويلٌ بلا أَنبياء

[فقد آثَروا الطُّرُقَ الوَعِرَة]

طريقٌ يؤدِّي إلى طَلَلِ البيتِ

[تحت حديقة مُسْتَوْطَنَة]

طريقٌ يَسُدّ عليَّ الطريق

فيصرخُ بي شَبَحي:

إنْ

أَردتَ

الوصولَ

إلى
نفسك الجامحةْ
فلا
تَسْلُكِ
الطُّرُقَ الواضحةْ!

III

لا كما يفعل السائح الأجنبي

مَشَيْتُ على ما تَبقَّى من القلبِ،
صَوْبَ الشمال ...
ثلاثُ كنائسَ مهجورةٌ،
سنديانٌ على الجانبَيْنِ،
قُرىً كنقاطٍ على أحْرُفٍ مُحِيَتْ،
وفتاةٌ على العشب تقرأُ ما
يُشْبهُ الشِّعرَ: لو كُنْتُ أكبرَ،
لو كُنْتُ أكبرَ، لاسْتَسْلَمَ الذئبُ لي!

... لم أَكُنْ عاطفياً، ولا «دون جوان»
فلم أتمدَّد على العشب، لكنني
قُلْتُ في السرِّ: لو كنتُ أصغرَ

لو كنتُ أَصغرَ عشرين عاماً
لَشاركْتُها الماءَ والسندويشات،
وعلَّمتُها كيف تَلْمِسُ قوسَ قُزَحْ

مَشَيتُ، كما يفعل السائحُ الأَجنبيُّ ...
معي كاميرا، ودليلي كتابٌ صغيرٌ
يضمُّ قصائدَ في وَصْفِ هذا المكانِ
لأَكثرَ من شاعرٍ أَجنبيٍّ،
أُحسُّ بأني أنا المتكلِّمُ فيها
ولولا الفوارقُ بين القوافي لَقُلْتُ:
أَنا آخري

... كنت أَتبعُ وصف المكان. هنا
شَجَرٌ زائدٌ، وهنا قمرٌ ناقِصٌ
وكما في القصائد: ينبتُ عشبٌ
على حَجَرٍ يتوجَعُ. لا هُوَ حُلْمٌ
ولا هُوَ رمزٌ يدلُّ على طائرٍ وطنيٍّ،

ولكنه غيمةٌ أينعَتْ...
خطوة، خطوتان، ثلاثٌ ... وَجدْتُ الربيعَ
قصيراً على المِشْمِشيّات. ما كِدْتُ أرنو
إلى زَهْرة اللوز حتى تناثَرْتُ ما بينَ
غمّازَتَيْنِ. مَشَيْتُ لأتبعَ ما تَرَكَتْه الطيورُ
الصغيرةُ من نَمَشٍ في القصائد/

ثُمَّ تساءلْتُ: كيف يصير المكانُ
انعكاساً لصورتِهِ في الأساطيرِ،
أو صِفَةً من صفات الكلامِ؟
وهل صورةُ الشيء أقوى
من الشيءِ؟
لولا مخيّلتي قال لي آخري:
أنتَ لَسْتَ هنا!

لم أكن واقعيّاً. ولكنني لا

أُصدِّقُ تاريخَ «إلياذة» العسكريَّ،
هُوَ الشِّعْرُ، أسطورةٌ خَلَقَتْ واقعاً...
وتساءَلْتُ: لو كانتِ الكاميرا والصحافةُ
شاهدةً فوق أسوار طروادةَ الآسيويةِ،
هل كان «هوميرُ» يكتبُ غيرَ الأُوديسةِ؟/

... أُمْسِكُ هذا الهواء الشهيَّ،
هواءَ الجليل، بكلتا يديَّ
وأَمْضَغُهُ مثلما يمضَغُ الماعزُ الجبليُّ
أَعالي الشُّجيْرات،
أَمشي، أُعرِّف نفسي إلى نفسها:
أنتِ، يا نفسُ، إحدى صفات المكان

ثلاثُ كنائسَ مهجورةٌ
مآذنُ مكسورةٌ،

سنديانٌ على الجانبينِ،
قُرىً كنقاط على أَحْرُفٍ مُجيَّتْ،
وفتاةٌ على العشب تسأل طيفاً:
لماذا كبرتَ ولم تنتظرني
يقول لها: لم أَكنْ حاضراً
عندما ضاق ثوبُ الحرير بتُفَّاحَتَيْنِ.
فغنِّي، كما كنتِ قبل قليل، تُغَنّين:
لو كُنْتُ أكبرَ، لو كنتُ أكبرَ .../

أَمَّا أَنا، فسأَدخُلُ في شجر التوتِ
حيث تُحوِّلُني دُودَةُ القزِّ خيطَ حريرٍ،
فأَدخلُ في إبرة آمرأةٍ من
نساء الأساطير،
ثم أطير كشالٍ مع الريح...

IV

بيت من الشعر/
بيتُ الجنوبي

[في ذكرى أمل دنقل]

واقفاً مَعَهُ تحت نافذةٍ،
أتأمَّلُ وَشْمَ الظلال على
ضفَّة الأَبديَّةِ، قُلْتُ له:
قد تغيَّرتَ يا صاحبي .... وَانْفَطَرْتَ
فها هِيَ درّاجةُ الموت تدنو
ولكنها لا تحرّكُ صرختك الخاطفةْ

□

قال لي: عِشْتُ قرب حياتي
كما هِيَ،
لا شيءَ يُثْبِتُ أَنّيَ حيٌّ
ولا شيءَ يثبتُ أَنيَ مَيْتٌ

ولم أَتدخّل بما تفعلُ الطيرُ بي
وبما يحمِلُ الليل مِنْ
مَرَضِ العاطفةْ

□

أَلغيابُ يرفّ كزوجَيْ حمامٍ على النيلِ...
يُنْبِئُنا باختلاف الخُطَى حول فعل المُضارعِ...
كُنّا معاً، وعلى حِدَةٍ، نَسْتَحِثُّ غداً
غامضاً. لا نريدُ من الشيء إلاّ
شفافيّةَ الشيء: حدِّقْ تَرَ الوردَ
أسوَدَ في الضوء. وآحلُمْ تَرَ الضوءَ
في العتمة الوارفةْ ...

□

أَلجنوبيُّ يحفظ درب الصعاليك عن
ظهر قلبٍ. ويُشْبهُهُم في سليقتهم
وارتجالِ المدى. لا «هناك» له،

لا «هنا»، لا عناوينَ للفوضويّ
ولا مِشْجبٌ للكلام. يقول: النظامُ
آحتكامُ الصدى للصدى. وأَنا صوتُ
نفسي المشاع: أَنا هُوَ أنتَ ونحنُ أَنا.
وينامُ على دَرَج الفجر: هذا هو
البيتُ، بيتٌ من الشعر، بيتُ الجنوبيّ.
لكنَّهُ صارمٌ في نظام قصيدته. صانعٌ
بارعٌ يُنقِذُ الوَزْنَ من صَخَب العاصفةْ

□

أَلغيابُ على حاله. قَمَرٌ عابرٌ فوق
خُوفُو يُذَهِّبُ سَقْفَ النخيل. وسائحةٌ
تملأُ الكاميرا بالغياب، وتسألُ: ما
الساعةُ الآن؟ قال لها: الساعةُ
الآنَ عَشْرُ دقائقَ ما بعد سبعةِ

آلاف عامٍ من الأَبجديّة. ثم تنهّد:
مِصْرُ الشهيّةُ، مِصْرُ البهيّةُ مشغولةٌ
بالخلود. وأَمّا أَنا ... فمريضٌ بها، لا
أفكّرُ إلاّ بصحّتها، وبِكِسْرَة خبزِ
غدي الناشفةْ

□

شاعرٌ، شاعرٌ من سُلاَلَة أَهل
الخسارة، وآبنٌ وفيٌ لريف المساكينِ.
قرآنُهُ عربيٌ، ومزمورُهُ عربيٌّ ، وقُرْبَانُهُ
عربيٌّ. وفي قلبه زَمَنانِ غريبان،
يبتعدان ويقتربان: غدٌ لا يكفُّ
عن الاعتذارِ: «نَسِيتُكَ، لا تنتظرني».
وأَمسِ يجرُّ مراكبَ فرعونَ نحو الشمال:
«انتظرتُكَ، لكنْ تأخرتَ». قُلْتُ لَهُ:

أَين كُنْتَ إذاً؟ قال لي: كُنْتُ
أَبحث عن حاضري في جنَاحيْ سُنُونُوَةٍ
خائفةٌ ...

□

أَلجنوبيُّ يحملُ تاريخَهُ بيَدَيْهِ، كحفنة قمحٍ،
ويمشي على نفسه واثقاً من يسوع
السنابلِ. إنَّ الحياةَ بديهيَّةٌ... فلماذا
نفسّرها بالأساطير؟ إنَّ الحياة حقيقيَّةٌ
والصفاتِ هِيَ الزائفةْ

□

قال لي في الطريق إلى ليله:
كُلَّما قُلْتُ: كلاّ. تجلّى ليَ اللهُ
حريَّةً ... وبلغتُ الرضا الباطنيَّ عن
النفس. قلتُ: وهل يُصْلِحُ الشعرُ

ما أفسد الدهرُ فينا وجنكيزخان
وأحفادُهُ العائدون إلى النهرِ؟
قال: على قَدْرِ حُلْمكَ تتّسع الأرضُ.
والأرضُ أمّ المخيّلة النازفةْ

□

قال في آخر الليل: خذني إلى البيتِ،
بيتِ المجاز الأخيرِ...
فإني غريبٌ هنا يا غريبُ،
ولا شيءَ يُفْرِحني قرب بيتِ الحبيبِ
ولا شيءَ يجرحني في «طريق الحبيب» البعيدةِ
قلت: وماذا عن الروحِ؟
قال: سَتَجْلِسُ قُرْبَ حياتي
فلا شيءَ يُثْبِتُ أنّيَ ميتٌ
ولا شي يثبتُ أنّيَ حيٌّ

ستحيا، كما هِيَ
حائرة آسفةٌ ...

٧

كحادثة غامضة

في دار پابلو نيرودا، على شاطىء
الپاسفيك، تذكَّرتُ يانيس ريتسوس.
كانت أَثينا ترحِّبُ بالقادمين من البحر،
في مَسْرَحٍ دائريٍّ مُضاءٍ بصرخة ريتسوس:
«آهِ فلسطينُ،
يا آسْمَ الترابِ،
ويا آسْمَ السماءِ،
سَتَنْتَصِرين ...»
وعانَقَني، ثُمَّ قَدَّمني شاهراً شارةَ النصرِ:
«هذا أَخي».
فَشَعَرتُ بأني انتصرتُ، وأَني انكسرتُ
كقطعة ماسٍ، فلم يَبْقَ مِنّي سوى الضوءِ/

□

في مطعم دافىء، نتبادلُ بَعْضَ الحنين
إلى بَلَدَيْنا القديمين، والذكرياتِ عن
الغد: كانت أَثينا القديمةُ أَجملَ.
أَما يَّوسُ، فلن تتحمَّل أكثر. فالجنرال
آستعار قناعَ النبيِّ ليبكي ويسرِق
دمعَ الضحايا: «عزيزي العَدُوَّ!
قَتَلْتُكَ من دون قصدٍ، عدوِّي العزيزَ،
لأنَّكَ أزعجتَ دبَّابتي»/

□

قال ريتسوس: لكنَّ اسبارطةَ انكسرَتْ
في مهبِّ الخيال الأثينيِّ. إنَّ الحقيقةَ
والحقَّ صنوان ينتصران معاً. يا أَخي
في القصيدة! للشعر جسْرٌ على
أمسِ والغد. قد يلتقي باعةُ السَّمَكِ

المُتْعَبون مع الخارجين من الميثولوجيا.
وقد يشربون النبيذ معاً.

قلتُ: ما الشعرُ؟ ... ما الشِعْرُ في آخر الأمر؟

قال: هو الحدَثُ الغامضُ، الشعرُ يا صاحبي هو ذاك الحنينُ الذي لا يُفسَّرُ، إذ يجعلُ الشيءَ طيفاً، وإذْ يجعلُ الطَّيْفَ شيئاً. ولكنه قد يُفَسِّرُ حاجَتَنا لاقتسامِ الجمالِ العُمُوميِّ.../

□

لا بحر في بيته في أَثينا القديمةِ،
حيث الإلهاتُ كنّ يُدِرْنَ شؤون الحياة
مع البَشَر الطيِّبين، وحيث إلكترا الفتاةُ
تناجي إلكترا العجوزَ وتسألها: هل

أَنا أنت حقّاً؟

□

ولا لَيْلَ في بيته الضيّق المُتَقَشِّفِ
فوق سطوحٍ تطلُّ على الغابة المعدنيَّةِ.
لَوْحَاتُهُ كالقصائد مائيَّةٌ، وعلى أرض
صالونه كُتُبٌ رُصِفَتْ كالحصى المُنْتَقَى.
قال لي: عندما يحزُنُ الشعرُ أَرسمُ
فوق الحجارةِ بَعْضَ الفخاخ لصَيْدِ القَطَا.
قُلْتُ: من أَين يأتي إلى صوتك
البحرُ، والبحر منشغلٌ عنك يا صاحبي؟
قال: من جهة الذكريات، وإن
كنت «لا أتذكر أنيَ كُنْتُ صغيراً».
وُلدت ولي أخوانٍ عَدُوَّانِ:
سجني ودائي.

ـ وأَين وَجدْتَ الطُّفُولَةَ؟

ـ في داخلي العاطفيّ. أَنا الطفلُ
والشيخُ. طفلي يُعَلِّمُ شيخي المجازَ.
وشيخي يُعلِّم طفلي التأمُّل في خارجي.
خارجي داخلي
كُلَّما ضاق سجني تَوزَّعْتُ في الكُلِّ،
واتَّسَعَتْ لغتي مثل لُؤْلُؤةٍ كُلَّما عَسْعَسَ
الليل ضاءتْ/

□

وقلت: تعلَّمتُ منك الكثير. تعلَّمت
كيف أدرِّبُ نفسي على الانشغال بحبِّ
الحياة، وكيف أُجدِّفُ في الأبيض
المتوسِّط بحثاً عن الدرب والبيت أو
عن ثُنائيَّة الدربِ والبيتِ/

لم يَكْتَرِثْ للتحيَّةِ. قدَّم لي قهوةً.
ثم قال: سيرجعُ أوديسُّكُم سالماً،
سوف يَرْجِعُ .../

□

في دار پابلو نيرودا، على شاطىء
الپاسفيك، تذكَّرْتُ يا نيس ريتسوس
في بيته. كان في ذلك الوقت يدخُلُ
إحدى أساطيرِهِ، ويقول لإحدى الإلهاتِ:
إنْ كان لا بُدَّ من رحلةٍ، فلتكُنْ
رحلَةً أبديَّةً!

VI

ليس للكردي إلاّ الريح

[إلى: سليم بركات]

يتذكّرُ الكرديُّ، حين أزورُهُ، غَدَهُ...
فيُبْعِدُهُ بمُكْنسة الغبارِ: إليكَ عنّي!
فالجبالُ هِيَ الجبالُ. ويشربُ القُودكا
لكي يُبقي الخيالَ على الحياد: أَنا
المسافرُ في مجازي، والكراكيُّ الشقيّةُ
إخوتي الحمقَى. وينفُضُ عن هُوِيَّتِهِ
الظلالَ: هُوِيَّتي لُغَتي. أنا... وأنا.
أنا لغتي. أنا المنفيّ في لغتي.
وقلبي جمرةُ الكُرْديِّ فوق جبالِهِ الزرقاء.../

نيقُوسْيا هوامِشُ في قصيدته،

ككُلّ مدينةٍ أخرى. على درّاجةٍ
حمل الجهاتِ، وقال: أَسْكُنُ أينما
وَقَعَتْ بيَ الجهةُ الأخيرةُ. هكذا
آختار الفراغَ ونام. لم يَحْلُمْ
بشيء مُنْذ حَلَّ الجنُّ في كلماتِهِ،
[كلماتُهُ عضلاتُهُ. عضلاتُهُ كلماتُهُ]
فالحالمون يُقَدِّسون الأمسَ، أَوْ
يَرْشُون بوّابَ الغد الذهبيّ ...
لا غَدَ لي ولا أمسِ. الهُنَيْهَةُ
ساحتي البيضاء .../

منزلُهُ نظيفٌ مثلُ عَيْنِ الديكِ ...
منسيٌّ كخيمة سيّد القوم الذين
تبعثروا كالريش. سَجّادٌ من الصوف
المجعّد. مُعْجَمٌ مُتآكلٌ. كُتُبٌ مُجَلَّدةٌ

على عَجلٍ. مخدّاتٌ مطرّزَةٌ بإبرة
خادم المقهى. سكاكينُ مُجلَّخةٌ لذبح
الطير والخنزير. ڤيديو للإباحيات.
باقاتٌ من الشوك المُعَادِلِ للبلاغةِ.
شُرْفَةٌ مفتوحةٌ للاستعارة: ها هنا
يَتَبادَلُ الأتراكُ والإغريقُ أدوارَ
الشتائم. تلك تَسْلِيتي وتَسْلِيَةُ
الجنود الساهرين على حدود فُكاهةٍ
سوداء .../

ليس مسافراً هذا المسافرُ، كيفما اتَّفقَ ...
الشمالُ هو الجنوبُ، الشرقُ غرْبٌ
في السراب. ولا حقائبَ للرياح،
ولا وظيفة للغبار. كأنه يُخفي
الحنينَ إلى سواهُ، فلا يُغنّي ... لا

يُغَنّي حين يدخُلُ ظلُّه شَجرَ الأكاشيا،
أو يبلِّلُ شَعرَهُ مَطَرٌ خفيفٌ ...
بل يُناجي الذئبَ، يسأله النزالَ:
تعال يا ابن الكلب نَقْرَعْ طَبْلَ
هذا الليل حتى نوقظ الموتى. فإنَّ
الكُرْدَ يقتربون من نار الحقيقة،
ثم يحترقون مثل فراشة الشُّعَراء/

يعرفُ ما يريد من المعاني. كُلُّها
عَبَثٌ. وللكلمات حيلَتُها لصيد نقيضها،
عبثاً. يفضّ بكارةَ الكلمات ثم يعيدها
بكراً إلى قاموسه. ويَسُوسُ خَيْلَ
الأبجدية كالخراف إلى مكيدته، ويحلقُ
عانَةَ اللُّغةِ: انتقمتُ من الغياب.

فَعَلْتُ ما فعل الضبابُ بإخوتي.
وشَوَيْتُ قلبي كالطريدة. لن أكون
كما أريد. ولن أحبَّ الأرض أكثر
أَو أَقلَّ من القصيدة. ليس
للكرديِّ إلاّ الريح تسكنُهُ ويسكُنُها.
وتُدْمِنُهُ ويُدْمنُها، لينجوَ من
صفات الأرض والأشياء .../

كان يخاطب المجهولَ: يا آبني الحرّ!
يا كبش المتاه السرمديّ. إذا رأيتَ
أباك مشنوقاً فلا تُنْزِلْهُ عن حبل
السماء، ولا تُكَفِّنْهُ بقطن نشيدك
الرَّعَوِيِّ. لا تدفنه يا آبني، فالرياحُ
وصيَّةُ الكرديِّ للكرديِّ في منفاهُ،
يا آبني... والنسورُ كثيرةٌ حولي

وحولك في الأناضول الفسيح.
جنازتي سريَّةٌ رمزيّةٌ، فَخُذِ الهباءَ
إلى مصائره، وجُرَّ سماءك الأولى
إلى قاموسك السحريِّ. واحذرْ
لَدْغَةَ الأَمَلِ الجريحِ، فإنه وَحْشٌ
خرافيّ. وأنت الآن... أنت الآن
حُرّ، يا ابن نفسِكَ، أنت حُرٌّ
من أبيك ولعنة الأسماء../

باللغة انتصَرتَ على الهُوِيَّةِ،
قُلْتُ للكرديِّ، باللغة انتقمتَ
من الغيابِ
فقال: لن أَمضي إلى الصحراءِ
قُلْتُ: ولا أَنا ...

ونظرت نحو الريح/
ـ عِمْتَ مساء
ـ عمت مساء!

صدر للشاعر

- مأساة النرجس، ملهاة الفضة
- أرى ما أريد
- أحد عشر كوكباً
- ديوان محمود درويش (جزآن)

وعن
«رياض الريّس للكتب والنشر»

لماذا تركت الحصان وحيداً

الطبعة الأولى كانون الثاني/ يناير ١٩٩٥
الطبعة الثانية أيلول/ سبتمبر ١٩٩٥
الطبعة الثالثة شباط/ فبراير ٢٠٠١

سرير الغريبة

الطبعة الأولى كانون الثاني/ يناير ١٩٩٥
الطبعة الثانية شباط/ فبراير ٢٠٠٠

جدارية

الطبعة الأولى حزيران/ يونيو ٢٠٠٠
الطبعة الثانية شباط/ فبراير ٢٠٠١

حالة حصار

الطبعة الأولى نيسان/ أبريل ٢٠٠٢
الطبعة الثانية حزيران/ يونيو ٢٠٠٢

محمود درويش

لا تعتذر عمّا فعلت

«أمشي كأنّي واحدٌ غيري. وجُرحي وَرْدَةٌ
بيضاءُ إنجيليّةٌ. ويدايَ مثل حمامتين
على الصليب تُحلّقان وتحملان الأرضَ
لا أمشي، أطيرُ، أصيرُ غيري في
التجلّي. لا مكانَ ولا زمانَ. فمن أنا؟
أنا لا أنا في حضرة المعراج. لكنّي
أُفكّرُ: وحدَهُ، كان النبيُّ محمّدٌ
يتكلّمُ العربيّةَ الفُصْحى. وماذا بعد؟
ماذا بعد؟ صاحت فجأةً جنديّةٌ:
هُوَ أنتَ ثانيةً؟ ألم أقتلْكَ؟
قلت: قتلتني... ونسيتُ، مثلك، أن أموت»

من قصيدة «في القدس»



ISBN 9953-21-152-3
رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS